إشكالية الجندروالهوية

رواية ظل هيرمافروديتوس لبدرية البدري

Gender and

The shadow of Hermaphroditus

هرندي كريمة *،

جامعة محمد بن أحمد-(وهران 02) ،

harendi.karima@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام:2022.02.01

تاريخ القبول: 2022.03.30

تاريخ النشر:2022.03.31

Ex PROFESSO

المجلد 07، الرقم 01، السنة2022

ملخص

إنّ رواية ظل هيرمافروديتوس للروائية بدرية البدر محاولة منها لمعالجة مسألة وإشكالية الجندر والهوية، من خلال تطرقها إلى العديد من المداخل الهوياتية، مركزة في ذلك على إشكاليات فرعية لها علاقة بالإشكالية الأساسية منها إشكالية الصراع الجيلي، إشكالية الحرية والتحرر، إشكالية التقبل الاجتماعي في سياق اجتماعي معين، حاولت عن طريقه الروائية تحديد المعالم الأساسية لوجود هذه الظاهرة بذات المجتمع العربي.

الكلمات المفتاحيّة: هوية؛ جندر؛ امرأة؛صورة؛رجل.

Abstract

The shadow of Hermaphroditus novel by Badriya Al-Badr is an attempt to address the issue and the problem of gender and identity, by addressing many of the identity entries, focusing on sub-problems related to the basic problem, including the problem of the generational conflict, the problem of freedom and liberation, the problem of social acceptance in a particular social context, through which the novelist tried to determine the basic features of the existence of this phenomenon in the same Arab society.

Keywords: Identity; gender; Woman; image; man.

Url de la revue :
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/484

* -المؤلف المراسل.

مقدّمة:

يعدّ موضوع المرأة من بين الموضوعات الأكثر أهمية وتعقيدا في مجال الدّراسات السوسيولوجية؛ كون أن المرأة حملت في أبعادها الأنطولوجية ثنائية "المركز" و"الهامش"، في معظم المجتمعات، بغض النظر عن الخصوصية العقائدي أوالاثنية أو إيديولوجية التناول الموضوعاتي إزاء المرأة سواء كذات، أم فعل اجتماعي، أم كيان اجتماعي... لتصبح بذلك المرأة الحلقة الأكثر استهلاكا والأكثر إهمالا في التناول الفعلي لها.

في محاولة منا لدراسة المرأة كموضوع، لا يمكن إغفال كثيرمن الخلفيات التي تصب معظمها في قالب واحد "ثنائية الرجل والمرأة"، في جدلية تتخذ أشكالا متعددة، لتعزيز هذه الثنائية ووجودها، الذي يختلف نمط الإقرار به من مجتمع لآخر، فتصبح بذلك محورية النقاش تصب في منهل واحد، للوهلة الأولى يبدو التفرع بارزا فيها والتنوع سيدا عليها، لكن في حقيقة التّناول تأخذ كلّها الوجهة نفسها.

نبذة مختصرة عن الروائية:

ولدت "**بدرية محمد علي البدري**" يوم 20 أغسطس من سنة 1975 بمدينة **مسقط**، دخلت الأدب القصصي سنة 2015 بعد إصدار روايتها «**ما وراء الفقد**»، ونشرت أول مجموعتها الشعرية سنة 2018 بعنوان «وادٍ غيرذي بوح». اهتمت أيضًا بأدب الأطفال والفتيان فهي مشاركة ضمن مجموعة مؤلفين في تأليف مجموعة قصصية مكونة من 60 قصة للفتيان، أشرفت عليها وزارة التربية والتعليم في سلطنة عمان. وكذلك صاحبة مبادرة «أتخيل وأكتب» للاهتمام بإبراز المواهب الأدبية للأطفال والناشئة. حصلت على العديد من الجوائز الأدبية المحلية والخليجية في بداية حياتها الأدبية، أهمها «جائزة كتارا لشاعرالرسول» سنة 2021 التي أعتبرها محطة فارقة في مسيرتها الشعرية وهي أول امرأة فازت بها. إنّ رواية ظل هي رواية طرقت من خلالها الروائية بابا قليل التطرق في الرواية العربية، إذ تتناول هذه الرواية مسألة اضطراب الهوية الجنسية لدى بطلة الرواية [سعاد] التي لم تكن تعلم أن الصرخة التي لم تُطلقها حين واجهت الدنيا لأول مرة، ستكون بمثابة احتجاجٍ صامتٍ على كل ما آلت إليه. خطوط متشعبة من الأحداث التي لا يبدو لها من نهاية وصراع لاهث مع الذات والآخر في حبكة روائية فائقة الصنعة من الحرف الأول للرواية حتى الحرف الأخير.

I. إشكالية الهويّة الاجتماعية:

إنّ مسالة الحديث عن الهوية الاجتماعية يقودنا للحديث عن مفهوم الهوية والجندر معا، هذا الأخير الذي احتل مساحة كبيرة في الفكر الغربي القديم والحديث معا، ليبرز هذا المصطلح بشكل واضح لاسيما في العصر الحديث مع ميلاد الحداثة. ولقد ارتبط هذا المفهوم بالعلوم

الاجتماعية والإنسانية قاطبة ليحتل اهتمام الدراسات النِّسوية خاصة. "بدأ مصطلح الجندر في مرحلته الحديثة في أمريكا، وهو كلمة تنحدر من أصل لاتيني (Genus) ومن لفظة (Gendre) الفرنسية القديمة... ويدل على النمط، والمقولة، والصنف، والجنس، والنوع، والفصل بين الذكورة والأنوثة"[1]. أمّا مفهوم الهويّة فحسب «**جوتلوب فريج**» هي عبارة عن «مفهوم وجودي، يمتلك خاصية سحريّة تؤهله للظهور في مختلف المقولات التّعريفية، وهو يتمتّع بدرجة عالية من العمومية والتجريد... يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفيّة لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر»[2]. فمن المحاور الأساسية التي استهلت الروائية بها روايتها، محاولة تطرقها إلى كثير من الهُويات؛ لكون المرأة بصفة عامة لا تمتلك هُويّة واحدة، إنّما مجموعة من الهُويّات في ظل الكثير من الماهيات، كلّها تعبّر عن حقيقة وجودها، لماذا لأنّ الهوية تمثل «حقيقة الشيء أو الشّخص التي تُميّزه عن غيره»[3]، بعيدا عن جدلية التّغييب ومحاولات الإلغاء، لنجد الكاتبة قد ركّزت في مدخلها على كل من:

1. **الهويّة الوجودية:**

لقد ركّزت الروائية في بداية روايتها ومدخلها على الهوية الأنطولوجية الآنية للإنسان، بمقاسات مفاهيمية حول النوع الاجتماعي في مركزية الهويّة، مقتبسة بذلك مصطلح شريعة الغاب"...**إنّها شريعة الغاب،وأنا لست سوى ورقة صغيرة سقطتْ باكراً من شجرة مُعمّرة**"، هنا تستدرجنا الروائية إلى المراحل البدائية الأولى للإنسان، قبل أن يخرج في اجتماعه من دائرة التّوحش ويدخل إلى دائرة التأنس، في ظل ميكانيزمات التفاعل، الذي يتخذ أوجها وأشكالا متعددة وفقا لمراحل فكرية تطورية، لكن حسب الروائية لا يزال تفاعلا في حقيقته مبطّنا بشكل الإنسان الأول «شريعة الغاب»، في تركيبة نصية قائمة على الترابط والانفصال بين الإنسان والإنسان، مجسّدا ذلك الفعل في الورقة التي سقطت من الشجرة"... الورقة التي تسقط لا يمكنها العودة للشجرة مرة أخرى، تجف الأوراق، تأخذها الريح بعيدا، تموت وتتحلّل" ، لكن يمكن لهذه الورقة أن تعود إليها في يوم من الأيام، على نقيض ما ذهبت إليه الروائية، لأننا لو قمنا بإسقاط بسيط لطبيعة العلاقة بين أفراد الجماعة العائلية على وجه الخصوص، فإنّنا لا يمكن أن ندّعي الصورة المطلقة لانسلاخ الفرد عنها، خاصة في حالة الأزمات الاجتماعية؛ لاستحضار روح التضامن العضوي بين الأفراد، بالإضافة إلى مؤشر الحنين الاجتماعي إن جازلنا التعبير ، والقرابة الدموية له،في ظل ذوبان الفرد في لحمة جماعته.

2. **الهويّة الأنثوية:**

ضمن هندسة اجتماعية معيارية، أثارت الروائية هُوية أخرى في مدخل روايتها، ألا وهي «**الهُويّة الأنثوية**»، وعلاقتها بالنضج الاجتماعي للأنثى قبل الأوان، هذا بفعل التأثيرات التي

يمارسها الوسط الاجتماعي على فاعليه، في إطار ترسانة قانونية وأخلاقية واجتماعية، خاصة وأنّ هؤلاء الفاعلين ليسوا مجرد ذوات جامدة أوتوماتيكية، بقدر ما هم ذوات فاعلة ومتفاعلة، منتجة وناتجة، مؤثرة ومتأثرة بالآن ذاته، من خلال الطابع المرن لبطلة الرواية «**سعاد**»، في ظل محاولاتها المتكررة في اكتشاف عالم آخر، خارج أسوار المؤسسة الاجتماعية والأرشيف الفاعل الحافظ لنمط العلاقات الاجتماعية «**العائلة**»، للخروج إلى التفاعل مع أشخاص آخرين من النوع الاجتماعي الآخر –الذكور- كنوع من أنواع التمرد أو الفضول في معرفة عوالم تفاعل أخرى، غير الذي تشرّبته من عائلتها، مكان المرأة البيت ودورها به " **كنتُ فتاة سويّة،طفلة جميلة،بشعرٍ أسود طويل وعينين عسليتين صافيتين،ألعب بالدمى مع أخواتي،لم أكن يوماً أختاً وحيدة لستة إخوة،كنتُ أختاً ضمن سبع أخوات،لستُ الأولى ولا الأخيرة**"، وهي تتحدث عن هذه الهوية، أشارت الروائية إلى مسألة أخرى ألا وهي مسألة الصراع "الجيلي"، أي الصراع الضمني بين الآباء والأبناء، في نمط التعامل وأساليب التواصل، وما يمكن أن ينتج عنه من مقولة العقم الاجتماعي في ذهنية الأبناء تجاه الآباء، من حيث مراكز العطاء، خاصة ونحن نعيش في مجتمع مفتوح على ثقافات مجتمعية أخرى، تختلف كل الاختلاف عنّا، بفعل الدور التكنولوجي لوسائل الإعلام، حيث أضحى عالم اليوم عبارة عن غرفة صغيرة، تطل على مجريات ما يحدث في كل نقطة منه. لتصبح مقولة العقم الاجتماعي في إضافة شيء جديد للأبناء، مرتبط بطبيعة الدورة الزمنية لكل جيل، وفكرة التّعايش مع حتمية التغير. خاصة في ظل اختلاف التجربة المعيشية للجيلين، فكل شيء في حياتنا كما نعلم عرضة للتغير المستمر على الدوام، وأننا نميل في العادة إلى إسباغ طابع الثبات والديمومة، ولو لفترات محدّدة على أنفسنا، وعلى ما حولنا "**أحب أمي، ولكني لا أحلم بأن أصبح مثلها يوماً، لا أريد أن أنجب الأطفال عاماً بعد عام، لأمتلك رد فين مترهلين وصدر أعجز عن رفعه، سأترك فرصة لكل طفل ليكبردون أن يشاركه حناني طفل آخر،أن أتفرغ لنفسي وزوجي بين كل ولادة وأخرى**"، لكن التغير الاجتماعي ظاهرة طبيعية، تخضع لها نواميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة، والتي تفضي إلى تغير دائم[4]، تغيرا ليس فقط على مستوى البناء التحتي والفوقي للمجتمعات، بل يتعدّاه إلى أن يمارس سطوة تأثيره على الأفراد، فمن «الطبيعي أن يكون التغير جماعيا يهم طائفة أو تنظيما، أو جماعة أو أفرادا، يُنظر إليهم بصفة جماعية إذا تعلق الأمر بتغيير التمثلات مثلا»[5].

لقد تم التركيز على نمط الاستقرار الوجودي من حيث الدوام والاستمرار للجيلين، حتى لا تكاد تعرف شيئا من تفاصيل وجهتها، فوجهة الجيل الأوّل تسودها النّمطية عكس جيل الأبناء، الذي يحاول قدر المُستطاع أن يُجاري حتمية التغير بأدق تفاصيله، وفي خضم حديث

الروائية عن الهُوية الأنثوية، تطرقت إلى المفارقة الاجتماعية بين طبيعة الجيلان، من حيث المشـــارب التنشـــئوية، وطبيعة الظروف التي ترعرع فيها الجيلين، بتركيزها على حيوية معادلة «**الأصالة**» و«**المعاصرة**»، في ظل ثنائية فرعية ألا وهي «**التجربة**» و«**الفضول**».

إنّ مســـألة تلقين الأدوار للأبناء انطلاقا من نوعهم الاجتماعي، ليس له تأثيرفقط على الأبناء، بل حتى على النســـق الاجتماعي ككل، من خلال ما أكّده «تالكوت بارســـونز» في قوله «إنّه من الواضـح أنّ التحديد النسـبي للمكانات يعتبرعاملا هاما للأمن النفسـي، وهذا الأمن النفسـي ليس هاما للوالدين فقط،بل للأطفال أيضـا، وفي مقابل ذلك فإنّ عدم تحديد أدوار النوع لا يشكّل خطرا على الشخصيات فقط، ولكنّه تهديد للنسق الاجتماعي ككل»[6].

التّمرد الاجتماعي الذي تميّزت به الشـخصـية الرئيسـية، أتبعته الروائية بالحديث عن دور آخر، عُزي للمرأة إضافة إلى دورها الرئيسي، إنّه الدّعم العاطفي والمحافظة على الاستقرار العائلي، والحرص في نقل النظام الاجتماعي لأبنائها، أصـبح لها دورا آخر وهو دور خارج أسـوار البيت، فهنا التقليد الاجتماعي لم يحدث على سبيل الصدفة لتقلد دور آخر، يضاف لمنظومة أدوارها، إنّما نتيجة لضـروريات اجتماعية من جهة، وتهيئة الوسـط الاجتماعي لذلك، ولصـقل التعلم الاجتماعي لاكتســـاب هذا الدور من جهة أخرى، ربما الكثيرون قد يعتبرونها منافية لطبيعتها.

ففي ضوء نظام تقسيم العمل الجنسي، تجد المرأة نفسها أمام دورين لا ثالث لهما، إلاّ فيما ندر من الحالات، حتميتين اجتماعيتين هما أن تصـبح المرأة زوجة ثم أمّـــا، تلك هويتها المجمعية[7]. فلقد كانت الفتاة بالعائلة التقليدية العربية بصـــفة عامة «تحاكي أمّها في أدوارها بوصـــفها نموذجا مرجعيّا لها، والابن يحاكي والده، الفتاة تعد للحياة التقليدية والزوجين والابن للحياة العامة، فالحدود بين الجنسـين هي حدود اجتماعية؛ ذلك أنّ الهوية الجنسـية هي الهوية الاجتماعية»[8].

3. أبعاد ومداخل الهويّة في الرواية:

في سياق حديث الروائية عن هذين النمطين من الهُوية، فإنّها ركّزت على إطار مفاهيمي يعتمد على **ثلاثة مداخل رئيسية** هي كالآتي:

المدخل الأول:

الهوية الأنطولوجية والأنثوية في ظل ثنائيات متعددة: العلاقة بين الآباء والأبناء، الأصالة والمعاصرة، التعلم الاجتماعي والوسط الاجتماعي...

المدخل الثاني:

الصراع الجيلي في ظل التغير الاجتماعي وديناميته، في مقابل ستاتيكيته.

المدخل الثالث:

الدور الأنثوي في المجتمع التقليدي، بالاعتماد على التمثل الدوري في ذهنية التفاعل الأنثوي بمسرح الحياة الاجتماعية، لتقدم الأنثى ذاتها وفقا لهذا الدور بحياتها اليومية.

لقد أثارت الروائية مسألة أخرى بغاية الأهمية، ألا وهي ضرورة التعاطي مع فكرة الاختلاف والاستثناء النوعي، وكيفية التكيف المستمر والتعايش معه، من خلال إشكالية الجسد والروح في المنظومة الذهنية، والحث على المسارعة الوالدين في معالجة أي اختلاف من شأنه التأثيرفي مستقبل الأبناء في وقت مبكر، قبل تأزمه وتعقده، بالتركيزعلى النمط السلوكي للأبناء، ونحن نعرف أن الطفل في بداية تنشئته لتعلمه الاجتماعي، إضافة إلى مختلف التلقينات التي يحصل عنها من مصادر مختلفة في مقدمتها الوالدين، فإنّه يعتمد بالدرجة الأولى على أسلوب التقليد والمحاكاة، كتقليد البنت دور أمها، تقليدا ينبئ عن تلك العلاقة القوية بينهما والتأثر بالأم، ليكشف لنا هذا التقليد عن نمط علائقي مرن بين البنت والأم عكس البنت والأب، فهذا الأخيريتميّزفي الغالب أسلوبه بالقسوة والخشونة، هنا نشيد بالعملية الاجتماعية الأولى للطفل وأهميتها هنا نقصد التنشئة الاجتماعية، فحسب "**صفوح الأخرس**" فإنّها «عملية تلقين أعضاء المجتمع الجدد ثقافة المجتمع، ويتم بها اختصار هذا المدى الواسع من الإمكانات السلوكية، إلى عدد محدود من الأنماط السلوكية الواقعية التي يرتضيها المجتمع ويتقبلها، وتمكن الفرد من اكتساب عضويته في المجتمع والبقاء فيه»[9]، وهي « تعمل على تعليم وترسيخ السلوكيات التي يقبلها المجتمع، وتعتبر ذات أهمية في المجتمع، وهي عملية تتم طوال حياة الفرد، وتتغير حسب فترات حياته»[10]، فعن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم الفرد القواعد الاجتماعية والقيم، وتتكون لديه شخصية اجتماعية من خلال تعلّمه «مختلف الأدوار التي يطالب بها، ومختلف قواعد التنظيم التي يتعامل بها مع المجتمع»[11]. لتصبح بذلك عملية التنشئة عملية هدفها إكساب كل ما يجعل الفرد يندمج في الجماعة التي ينتمي إليها، باختلاف أساليبها؛ كون هذه الأساليب بتنوعها وتعددها «تعمل على أن يكون التقدم الثقافي والفكري للأطفال والمراهقين سواء من حيث اكتساب المعارف، أو من حيث عادات التفكيرالسّليم النابع من داخلهم، وذلك عن طريق إيقاظ اهتمامهم وإثارة روح المبادرة لديهم أو بواسطة إنماء رغبة المعرفة عندهم والتي تعارض كل ما في الطرائق التلقينية والحدسية من سلبية»[12].

أثارت الروائية ظاهرة نفسية بحياة الوليد، إنّها احتقان الأبناء من بعض الآباء، مثلما ما حدث مع الشخصية الرئيسية للرواية عندما تركتها والدتها بالمستشفى مدة شهر ...**قضيتُ في المستشفى شهراً كاملاً، في غرفة العناية المشددة... كانت تأتي لزيارتي كأيّ مريضٍ غريب،**

تنظر إليّ من خلف زجاج حضـانتي الدافئة بمصـباحها الدائم الاشـتعال»، وتمثل المجتمع العربي للطبيب النفسي.

II. تمثل صورة المرأة عند الآخر:

في نصية الرواية عولجت مسألة صورة المرأة في نظر الآخر، هذا الآخر سواء المجتمع أو الرّجل، بعد خوض تجربة الزّواج، الذي يعدّ مؤسسة اجتماعية ضبطية موجّهة للسلوك الغريزي، مثلما أكّد عليه «**روبرت لوي** Robert Lowie». فالمرأة بخوضها هذه التجربة يصبح لها كيان اجتماعي مغاير، تعتمد فيه على عدّة تلقينات جديدة لهذا الدور الجديد، من دور البنت إلى دور الزوجة، مرّكزة الروائية على تمثل الذاكرة الاجتماعية الآنية لها في الزواج، وغلقها لدفاتر الذاكرة القديمة، هنا نعود للحديث عن الهُوية الأنطولوجية للمرأة من أنثى إلى كيان اجتماعي فاعل ومتفاعل.

1. الحرية والتحرر:

تعدّ مسألة الحرية من المسائل الفلسفية الأكثر تجريدا، لكن هذا لا يمنع من مضامينه العملية، كونه مدخلا مهما من مداخل الذات البشرية في إطار تفاعلاتهم غير الناضبة، لتثير الروائية موضوع «**التّحرر**»، راصدة لنا تعريفا له، بالرغم من عدم إمكانية الجزم بوجود مفهوم ثابت له، حدّدتها الروائية في النقاط الثلاث الآتية، كأبعاد اعتمدتها لتحليلها لهذه الوحدة الاصطلاحية:

1- التّحرر من حزن الأشخاص المقرّبين.

2-التّمكن من العيش بأريحيّة.

3-عدم التّحرر من القيم؛ هنا توضيح مباشر لعدم تضارب التحرر مع منظومة القيم والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية.

إنّ عملية الوصف الدّقيق التي اعتمدتها الروائية لفكرة كيف يَمنح الفرد حياة لفرد آخر، من خلال سنة كونية الإنجاب لدى المرأة في سياق دورة حياتها الطبيعية والاجتماعية معا، وفقا لثنائية «**الاتصال**» و«**الانفصال**»، الذي هو بحقيقته مجرد؛ لأنّ هذا الاتصال قد يدوم إلى مراحل متأخرة من حياة الوليد، خاصة في ظل الارتباط الروحي للفرد بعائلته في مجتمعاتنا العربية، على نقيض المجتمعات الغربية ظهور النزعة الفردانية قد تحول دون تحقيق ذلك.

تعود الروائية لإثارة مسألة المعاناة المرافقة للإنسان، بالاعتماد على فضول هذا الأخير الدّائم والمستمر في البحث عن الانتصار؛ الذي اعتبرته الروائية مجرّد خسارة مبطّنة "...**وحده**

من يجب أن ينتصر،ولا يعلم أنّ انتصاره ذاك ليس إلاّ خسارة مُبطّنة" ؛ لكون ما ينجر عن هذا البحث من نتائج في مقدّمتها:

-اكتشاف الذات بالتفاعل مع الآخر.

-محاولة اكتشاف الآخر من خلال البحث عن فكرة السند (الأبناء والآباء).

- الكينونة الوجودية للإنسان بالنظر إلى أدواره ومكانته.

أثارت الروائية مسألة النزوح نحو الفردانية كسمة وخصوصية للمجتمعات الحديثة، على حساب المشاركة الاجتماعية بين الأفراد، لكن بالمقابل هناك نزعة أخرى ألا وهي نزعة التضامن الاجتماعي، بالرغم من أنّها سمة المجتمعات التقليدية، لكنها مازالت قائمة بمجتمعاتنا العربية الحديثة؛ خاصة في أوقات الأزمات الاجتماعية، نلاحظ التعاضد والتساند الاجتماعي بين أفراد الجماعة العائلية والجماعة الاجتماعية معا.

2. القيّم الذكورية والقيم والأنثوية:

إنّ مسألة القيم الذّكورية والقيم الأنثوية، لهي مسألة كثيرة الطرح في مجالات تعبيرية وتخصصية متعددة، كمحور انطلاقي للعديد من الكتابات، ليس كمفهومين بيولوجيين إنّما كهويتين اجتماعيتين، تقوم على فكرة الانفصال والاتصال في الأدوار في سياقات اجتماعية متعددة، قيم قائمة في سياق ما يعرف بالنوع الاجتماعي GENDER الذي يشير إلى « تلك السلوكيات التي تحدد الأفراد باعتبارهم ذكورا أو إناثا في سياقات اجتماعية وثقافية معينة..."[13] وتركيز الروائية في طرحها هذا على فكرة الرجولة كممارسة دالة عن التفوق الاجتماعي "**زوجاً لا تنتهي طلباته،ويتذمر كلما وجدني مقصرة في أمرٍ ما،كعشاءٍ نقص ملحه لأني نسيت تذوقه أو حتى نسيت وضع الملح فيه بعد أن ركضت للاطمئنان على طفلي الرابع إثر وقوعه على أرضية المنزل**" من منطلق رمزية المكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية للوليد، القائمة على غرز خاصية السلطة والتسلط الذكوري، بدءا بالعائلة ليمتد هذا الفعل الاجتماعي إلى باقي الأفراد الآخرين في المجتمع، ليتعمق مثل هذا النوع من الفعل في ممارساته اليومية. ممّا أكسب الرجل مكانة « باعتباره ذكرا يمكن أن تعتبر إحدى وظائف التركيبة الاجتماعية على أساس النوع الجنسي (الجندر)، لا على أساس الاختلاف الجنسي Sexual أو البيولوجي[14]»، واعتبار الذكر كذات مفكرة منتجة، عكس المرأة التي يعتبرها الكثير كائنا معطلا اجتماعيّا، لكن ما نلاحظه في المجتمعات الحديثة اقتحام المرأة جل المجالات، وحتى تلك التي كانت حكرا على الرجل فقط، لتحقق نقلة نوعية في تاريخية وجودها، من مجرد كائن استهلاكي تابع، إلى كائن منتج فاعل مستقل، ولو كان هذا الاستقلال في صورته نسبيا، على وجه التخصيص الاستقلال المادي.

3. الخلفية الدينية والممارسات الفردية:

لقد أثارت الروائية مسألة الخلفية الدينيّة، ومراعاة هذه الخلفية كمعيار عملي في ضبط ممارسات الأفراد، في إطار تفاعلاتهم الاجتماعية.

إنّ للخلفية الدينية دورا مهما في حياة الأفراد؛ كون الدِّين ليس مجرد تجريد ومزاولة طقوس معينة، بقدر ما هو الإيمان بتلك الطقوس كموجه للروح قبل الجسد. يقف على حافة ممارسات الأفراد فيهذبها ويجعلها تتماشى مع ما يرتضيه العقل الجمعي.

إنّ مركزية النجاعة في أي علاقة تقوم بالدرجة الأولى على منطق التفاعل وتوفر الآليات الفاعلة لهذا النوع من التفاعل، خاصة ونحن نعيش في مجتمع منفتح على ثقافات أخرى، وعقائد تفكير متباينة للكثير من المجتمعات، هذه مسألة تعرّضت لها الروائية والمجسّدة في روح التعايش الإثني، وفكرة التقبل الاجتماعي للآخر، دونما التحيّز لقاعدة الخلاف أو النشوز لسبب أو آخر.

في حركة سفر فكري حول الكثير من العوالم والإشكالات التي طرحتها الروائية، نجدها في حركة ذهاب وإياب لمسائل ركّزت عليها بطرحها، والمتمثلة في إثارة الخصوصية الأنثوية في ظل هويتها داخل المجتمع من جهة، والعودة إلى التركيز على الأنثى، من خلال انبجاس عاطفة الأمومة وخوف الأم على أبنائها، هنا تجسيد فعلي للغريزة الأمومية في حماية الأبناء، كنمط من أنماط الرعاية، الذي تتميز به المجتمعات العربية على وجه التّخصيص.

ثم تعاود الروائية الرجوع لإثارة مسألة التسلط الذكوري وتفوقه الاجتماعي، من خلال مؤشر الانتقام الذكوري من الأنثى في حالة إعلانها التمرّد على العوائد الذكورية المعمول بها بالمجتمع: مثل الزواج، ورفض المرأة الزواج لمن تقدّم لخطبتها، وهي مسألة قد ينجر عنها الكثير من التبعات، بمقدمتها الثأر الاجتماعي الذي يولد تمزق أو هشاشة النسيج العلائقي بين الكثير من الأفراد، ناهيك عن نتائج أخرى، تختلف باختلاف العوائد والمسوغات الاجتماعية للأفراد، والتي هي بالأصل نتاج ممارسة اجتماعية وليست فردانية. ليصبح هنا الانتقام الذكوري كنزعة اجتماعية متأصلة في ذهنية الرجل العربي من المرأة، التي تحاول خدش مكانته وتفوّقه الاجتماعي، أو عرقلة تطبيق لأحد قراراته...

كون أنّ المجتمع في حقيقته هو تفاعل مستمر بين الفاعلين، ومجموعة العلاقات الاجتماعية، فإنّ هذه العلاقات تحكمها سلطة المجتمع تكون هذه السلطة سياسية أو دينية أو... فأي تعارض مع أيّ سلطة من هذه السلطات من قبل الأفراد يعتبر تمردا فعليّا، تكون نتيجته الجزاء والعقاب، وإن حدث العكس سيكون الثواب، لتصبح بذلك حياة الفرد وممارساته داخل مجتمعه تحكمها ثنائية الثواب والعقاب.

تركيز الروائية على الجانب الطبي، كمدخل تفسيري للكثيرمن الظواهر الطبية، بالاعتماد على مصطلحات طبية متخصصة «كنتُ **سآخذ حبوب Clomiphene هرمون الأستروجين الصناعي،بدءاً من اليوم الخامس لأي دورة شهريةٍ تصادفني،ليرسل إشارات إلى الغدة النخامية لإفراز هرموني**Lh**و**Fsh**المسؤولين عن تنشيط المبيض وتحفيز الإباضة وانطلاق البويضة**"ما هو في حقيقته إلاّ تبرير علني لذلك التداخل البيني الموجود بين العلوم الإنسانية والعلوم الصرفة، في تكامل يحمل الكثيرمن الدلالات والوعي الاجتماعي للهدف من فعل الكتابة والتّعبير.

III. إشكالية الجسد والروح:

تعود الروائية لإثارة موضوع العلاقة بين الجسد والروح كمحور مهم، حيث إنّ أي خدش على مستوى الجسد يعتبرعاهة ونقصا بالنسبة لصاحبه، فالجسد هو ذلك التركيب الذي يدركه الآخر كموضوع، بينما يدركه الأنا كذات وموضوع في آن واحد، ومن هنا يدرك كعنصر مليء بالحركة والحياة"[15]،فأيّ خدش يسبب تأثيرا كبيرا، من شأنه يؤدي إلى إعادة تشكيل بنية العلاقة بينه وبين جسده في تمثلات مغايرة عن سابقتها، ومحاولة إعادة التعرف على هذه الذات الجديدة، وفقا لاحتمالين لا ثالث لهما، أوّلهما قبوله بتحفظ والتعايش معه بحذر أو رفضه تماما، دونما ترك تلك العلاقة الوطيدة بين الروح والجسد؛ هذا الأخير الذي عرّفه أهل التصوف بأنّه « محطة الروح... »[16]، فجسد المرء ليس مجرد هيكل ترمه مجموعة عظام يكسوه لحم، وإنما معطى اجتماعي يحمل دلالة التفاعل، ذائب في كل العناصر المحيطة به، ما أكده فرانسو شريباFrançois chripa باعتبارالجسد تلك «الصورة المعيشة والفاعلة المتحركة التي تتلاقى فيها وتتآلف العناصر الحسية مع العناصر الحركية الذي يجعلنا نحيا ونشعر بكل حركات عضلاتنا ومفاصلنا»[17].

تطرح الروائية قضية أخرى ألا وهي «**دونية المرأة**» في مقابل «**التفوق الاجتماعي للرجل**»؛ كإقرار اجتماعي وذاتي بالآن ذاته، سببه طريقة التنشئة الاجتماعية، والتطرق إلى فكرة التعايش مع الذات المختلفة عن باقي الذوات، وغير الطّبيعيّة، قصد احتمال عبء التفاعل والتّواصل مع الآخرين، وإثارة العديد من القضايا الدّخيلة على مجتمعاتنا، والتي يعتبرها الكثيرون منافية لعوائدنا الاجتماعية، من بينها قضية تبني طفل من قبل امرأة غير متزوجة والسكن بمفردها برفقة من تبنته...

إنّ مسألة الرّعاية الاجتماعية للأطفال، لهي مسألة بغاية الأهمية، فبرغم اعتبار العائلة المؤسسة الاجتماعية الأولى في عملية التنشئة الاجتماعية، إلاّ أنّه في حالة غيابها، فإنّ هنالك

العديد من مؤسسات الرعاية الاجتماعية قد تنوب عنها، في مقدمتها دور الحضانة، ومراكز خاصة بإيواء مجهولي النّسب، وهذه صورة تطرقت لها الروائية ولو بشكل خاطف ومختصر.

النوع الاجتماعي وتحوّله في ظل أزمة الهوية:

تطرقت الروائية إلى مسألة تحوّل النوع الاجتماعي من أنثى إلى ذكر، فالفرد دائما قبل الشروع في أيّ فعل اجتماعي، يبدأ يُفكر بصورة عميقة في الإدانة التي يمكن أن يلاقيها جرّاء ما قام به، ويخشاه قبل أي شيء؛ لأنّ الأمر هنا مرتبط بأنطولوجيته، فلا يغامر بتحدي طبيعته البيولوجية، في ارتباط هذا التفكير بفهم الآخر، لأنّ الفرد دائما يسعى للمحافظة على صورة الآخر فيه. إن الخطاب الكوني حول قضية المرأة والتحرر الجنسي ومؤسسة الزواج ومقاربة النوع، ساهم بشكل كبير في ترسيخ قيم المساواة والعدالة والحرية في المجتمعات الثالثة والعربية منها بشكل أخص، رغم أنّها تظل محطة نقد، أو تحفظ، أو مهادنة تحت مسمى الخصوصية[18]، انطلاقا من هذا حاولت الروائية أن تصوِّر لنا صورة التناحر والصراع الداخلي الذي تعيشه هذه الفئة، لأنّ كل شخصية تسعى للبحث عن ذاتها، لكن هذه الفئة تعيش «**أزمة هُويّة**» في ظل عدم إمكانية إيجاد إجابة عن تساؤلاتها: من أكون؟، ليصبح عجزها في الإجابة صورة تزيد من بؤرة تخوّفها وألمها معا.

خاتمة

إذن من خلال هذه الرؤية السوسيولوجية لهذه الرواية يظهر لنا ذلك التلميح الصريح بفكرة التعايش والتكامل بين كل من الرّجل والأنثى، في مجتمع يحمل الكثير من العوائد والمسوغات الاجتماعية المتباينة، والقيم التي تجعل من أحد الطرفين في تفوّق والآخر العكس، فلا الأنثى أنثى دون رجل، ولا الرّجل رجل دونما امرأة، فكلاهما عنصران اجتماعيان فاعلان بغاية الأهمية في المجتمع البشري، كل واحد منهما يكمّل الآخر، فغياب أو محاولة تغييب أحدهما يعتبر خللا في وظيفة الوجود البشري بصفة عامة، برغم مسلسل المعاناة الذي جسّدت الروائية صرخاته، جرّاء الواقع الذي تعيشه المرأة، إلاّ أنّه في الأخير يمكننا القول بأنّ مقولة التكامل ليست بِدْعة اجتماعية، إنّما ضرورة وحتمية يفرضها سياق التفاعل البيني، ليبقى هؤلاء الفاعلون بمنأى أن يقعوا بمصيدة الظل.

الهوامش:

[1] - خضرا.حيدر، مفهوم الجندر دراسة في معناه، ودلالته، وجذوره، وتياراته الفكرية، مجلة الاستغراب، العدد 16، 2019، ص283.

[2]- أنيسة السعدون، الهوية الثقافية... جدلية التفاعل بين الأنا والأخر، "مجلة البحرين الثقافية"، المجلد 22، العدد82، 2015، ص 04.

[3] - تشالز تايلر، منابع الذات: تكوّن الهُويّة الحديثة، (تر: حيدر حاج إسماعيل)، ط01، مركز الوحدة العربية: لبنان، 2014، ص 19.

[4] - لطيفة طبال، التغير الاجتماعية ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 08، جوان 2012، ص 409.

[5] - جان بيار دوران، روبير فايل، علم الاجتماع المعاصر، (تر: ميلود طواهري)، ط 01، ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية ناشرون: الجزائر- لبنان، 2012، ص 549.

[6] - سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، ط 01، الدار الدولية للاستثمارات ثقاش.م.م، القاهرة، 2008، ص42.

[7] - العياشي عنصر، "الأسرة في الوطن العربي: آفاق التحول من الأبوية... إلى الشراكة"، *مجلة عالم الفكر*، المجلد 36، العدد 03، يناير- مارس 2008، ص 287.

[8] - سميرة مناد، "صورة المرأة في المخيال الاجتماعي"، *مجلة الحوار الثقافي*، المجلد02، العدد02، 2013، ص 111.

[9] - الأخرس محمد صفوح، علم اجتماع العائلة، مطبعة طبرين، بيروت ، 1990، ص 156.

[10] Ignass (G) , Genissel (M) , Introduction à la sociologie ; Paris : éd Ellipses , 2 eme Ed . 1999, p 107.

[11]- Liabes (Dj), « Contradictions sociales ou crise de socialisation, contribution à un débat » , in Revue de sociologie , N 3 ;Spécial , Alger , 1987 , p. 217

[12] - مطوري أسماء، مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية: المدرسة نموذجا، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015-2016، ص 43.

[13] - جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، (تر: محمد عثمان)، ط 01، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص 217.

[14] - نفس المرجع، ص 397.

[15] - Malek chebel ,vision du corps en islam , sans élément bibliographique, p204.

[16] - فؤاد إسحاق الخوري، إيديولوجيا الجسد: رموزية الطهارة والنجاسة، ط01، دار الساقي، لبنان، 1997، ص 20.

[17] - جلال الدين سعيد، فلسفة الجسد، ط01، دار أمية للنشر، دمشق،1991، ص 19.

[18] - ياسين عتنا، "مراجعة كتاب: من متغير الجنس إلى النوع الاجتماعي"، *مجلة تجسير*، المجلد الأول، العدد الثاني، 2020، ص 154.

المراجع:

1. الأخرس، محمد صفوح، 1990.*علم اجتماع العائلة*، مطبعة طبرين، بيروت.
2. السعدون، أنيسة،2015 "الهوية الثقافية... جدلية التفاعل بين الأنا والأخر"، *مجلة البحرين الثقافية*، المجلد 22، العدد82، ص4-6.
3. تايلر، تشالز، 2014. *منابع الذات: تكوّن الهُوّية الحديثة*، (تر: حيدر، حاج إسماعيل)، ط01، مركز دراسات الوحدة العربية.
4. جان بيار دوران، 2012، روبير فايل، علم الاجتماع المعاصر، (تر: ميلود طواهري)، ط 01، ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية ناشرون، الجزائر- لبنان.
5. جلال الدين سعيد،1991، فلسفة الجسد، ط01، دار أمية للنشر، دمشق.
6. جون سكوت، 2009، *علم الاجتماع المفاهيم الأساسية*، (تر: محمد، عثمان)، ط 01، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،
7. خضر إ. حيدر،2019، مفهوم الجندر دراسة في معناه، ودلالته، وجذوره، وتياراته الفكرية، مجلة الاستغراب، العدد 16، .. (عدد الصفحات: 283-295).
8. سامية مصطفى الخشاب، 2008، *النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة*، ط 01، الدار الدولية للاستثمارات ثقاش.م.م، القاهرة.
9. سميرة مناد، 2013، «صورة المرأة في المخيال الاجتماعي"،*مجلة الحوار الثقافي*، المجلد 02، العدد02،ص 111-115.
10. عنصر، العياشي، 2008، "الأسرة في الوطن العربي: آفاق التحول من الأبوية... إلى الشراكة"، *مجلة عالم الفكر*، المجلد 06، العدد 03، يناير- مارس ص01-45.

11. فؤاد إسحاق، الخوري، 1997، *إيديولوجيا الجسد: رموزية الطهارة والنجاسة*، ط01، دار الساقي، لبنان.

12. طبال، لطيفة،2012، "التغير الاجتماعية ودوره في تغير القيم الاجتماعية"، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، المجلد04، العدد 08، جوان ص 406-428.

13. مطوري، أسماء،2015-2016. *مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية: المدرسة نموذجا*، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، .

14. عتنا، ياسين،2020، "مراجعة كتاب: من متغير الجنس إلى النوع الاجتماعي"، *مجلة تجسير*، المجلد الأول، العدد الثاني، ص150. 155.

15. Chebel, Malek,*vision du corps en islam* , sans élément bibliographique.

16.Liabes, Dj, (1987), « *Contradictions sociales ou crise de socialisation, contribution à un débat* », in Revue de sociologie, N 3; Spécial, Alger.

17.Ignass (G), Genissel (M) , (1999), *Introduction à la sociologie*; Paris: éd Ellipses,2eme Ed.

لنقتبس من المؤلف:

هرندي، كريمة، «إشكالية الجندر والهويّة رواية ظل هيرمافروديتوس لبدرية البدري» ، المجلد 07، الرقم01، ص ص 326-338 ، https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4801